

## السيرة الدرس السادس غزوة بني قينقاع

الحمد لله، وكفاء، والصلاة والسلام على نبي المصطفى، طلابنا الأعزاء، أحبيكم بتحية الإسلام، مرحبا بكم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، درسنا الجديد هو غزوة بني قينقاع، لما رأى اليهود بالمدينة أن الله قد نصر المؤمنين نصرا مؤزرا في معركة بدر، وصارت لهم عزة وهيبة في قلب القاسي والداني، اغتاضت قلوبهم وجأهروا بالبغي والأذى، وكان أعظمهم حقدا. شرا يهود بني قينقاع الذين كانوا يسكنون داخل المدينة في حي باسمهم، وكانوا صاغا وحدادين وصناعا للأواني. ولأجل هذه الحرف توفرت لكل رجل منهم آلات الحرب، وكان عدد المقاتلين فيهم 700. وكانوا أشجع يهود المدينة وهم أول من نقض العهد والميثاق من اليهود. وقد جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في سوقهم بالمدينة ونصحهم ودعاهم إلى الإسلام، وحذرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشا. بدر فلم يبالوا، وأخذوا يتحينون الفرصة لإيذاء المسلمين والإعتداء عليهم. روى ابن هشام في سيرته أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها أي ما يجلب للسوق لبيعه، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعله يريدونها على كشف وجهها، فأبد، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها وهي غافلة، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتل له. يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، وحينئذ ظهر بجلاء غدرهم وخيانتهم، فنبذ إليهم النبي صلى الله عليه وسلم عهدهم كما أمره الله تعالى بقوله وإما تخافن من قوم خيانة، فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين، وسار متوجه إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وحا ذلك يوم

السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة، وكان الذي حمل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبي لبابا بن عبد المنذر العمري، واستمر الحصار 15 ليلة، فوقع اليهود في حيرة من أمرهم، بعد أن انقطع النبي صلى الله عليه وسلم عنهم كل مدد، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم، فكتفوا، وأمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرحلوا عن المدينة، وتولى أمر إجلائهم عباد بن الصامت رضي الله عنه، فلحقوا بأذرع بلدة بالشامل، و أعلن عبادة رضي الله عنه براءته من حلفائه اليهود لمحاربتهم المسلمين، وهكذا خرج يهود بني قم، وقاع من المدينة الصاغرين، قد ألقوا سلاحهم، وتركوا أموالهم غنيمة. المسلمين، وهم كانوا من اجع يهود المدينة، وأشدّهم بأسا، ومن ثم لاذت القبائل اليهودية الأخرى بالصمت والهدوء فترة من الزمن، بعد هذا العقاب الرادع ليهود بني قينقاع، وسيطر الرعب على قلوبها. قال ابن حجر وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم، ودعهم على أن لا يحاربوه، ولا يمالئوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاث مريضة، والنظير، وقينقة، وقسم حاربوه. طب وله العداوة كقریش؟ وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره، كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر، ومن هم من كان معه ظاهرا، ومع عدوه باطنا، وهم المنافقون، فكان أول من نقض العهد من اليهود بني قينقاع، ومن غزوة بني قينقاع يظهر لنا مدى عزتي وكرامة المسلم، فقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه في جيش كامل لينصر امرأة. ليلة من حجابها، ورجل اريق دمه، فالمسلم أخو المسلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم

أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، فعن عمر شعيب عن أبيه عن جده، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، هكذا عندما يكون المسلم عزيزاً، تعلن الحرب، وتقام لأدناهم، وقد رأينا. إذا تتكلم عليها، العالم قتل الآلاف، ولكن قد أسمعت لو ناديت حي، ثم كانت غزوتي ذات السويق، فبعد هزيمة المشركين في بدر نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ما حتى يغزو محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وينتقم من المسلمين، وليرد لقريش بعض سمعتها المتردية، فخرج في 200 راكب من قريش ليبر بيمينه، ووصل إلى أطراف المدينة ليلاً، ولجأ إلى بني النضير، فأتى حيب أخطب، فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فأنصرف. فعنه إلى سلام ابن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه، فأذن له فضيفه وسقاه خمراً وأخبره من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج أبو سبيعيان في عقب ليلته، حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش، فأتوا ناحية من المدينة يقال لها العريض واد بالمدينة، فأشعلوا النار في أشجار، ونخيل المسلمين المثمرة، وجدوا رجلاً من الأنصار، وحليف له في حرث لهما، فقتلوهما، ثم ولوا مدبرين. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج في آثارهم يطلبهم في ميتين من المهاجرين والأنصار، واستعمل للمدينة أبل بابة بشير بن عبد المنذر، ورضي الله عنه، فجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جيراب أو عية السويق قمح أو شعير يقلى، ثم يطحن، فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل، وهي عامة أزوادهم، يتخفون منها للنجاة، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرقلة الكدر، وهي أرض المستوية فيها ماء لبني سليم، ثمفراجع إلى المدينة، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وكانت غيبة الرسول صلى الله عليه

وسلم خمسة أيام، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله، أطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال نعم، وتسمى هذه الغزوة أيضا بغزوة السويق، لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فرجع المسلمون بسويق كثير، وكان ذلك في شوال في السنة الثانية من الهجرة، وفي نفس السنة شرع أول عيد وهو عيد. السنة الثانية من الهجرة فرض صيام رمضان، و فردت زكاة الفطر، و بينت أنصبة الزكاة الأخرى، و كانت فريضة زكاة الفطر، و تفصيل أنصبة الزكاة الأخرى تخفيفا لكثير من المشاق التي يعانيها عدد كبير من المهاجرين اللاجئين الذين كانوا فقراء لا يستطيعون ضربا في الأرض، ومن أحسن المناسبات أن أول عيد تعيد به المسلمون في حياتهم، والعيد الذي وقع في شوال سنة إثنان من الهجرة إثر الفتح المبين. الذي حصلوا عليه في غزوة بدر، فما أروع هذا العيد السعيد الذي جاء به الله بعد أن توج هامتهم بتاج الفتح والعز، وما أروع منظر تلك الصلاة التي صلوها بعد أن خرجوا من بيوتهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والتوحيد والتحميد، وقد فاضت قلوبهم رغبة إلى الله، وحنينا إلى رحمته ورضوانه، بعدما أولاهم من النعم وأيدهم به من النصر، وذكرهم بذلك قائلا واذكروا إذ أنا أنتم قليل، مستضعفون في الأرض. عفوا، أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون وتزوج في هذه السنة. علي بن أبي طالب تزوج الإمام من السيدة فاطمة في العام الثاني للهجرة كانت هي في الثامنة عشر من عمرها، وكان هو يكبرها ببضع سنوات، و آذكرت قصة الزواج في عدد من الكتب، فقد ذكرها ابن كثير في السير النبوية، والبيهقي في الدلائل عن علي رضي الله عنه، وخلاصة القصة فيما ينسب للإمام علي خطبت فاطمة منصلى الله عليه وسلم، فقالت مولات لي هل علمت أن فاطمة خطبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قلت لا، قالت فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله فيزوجك بها؟ فقلت أو عندي شيء  
أزوجه به؟ فقالت إنك أن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك، فوالله ما زالت  
ترجيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ألقعدت بين يديه أفهمت؟  
فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بك أنا  
كحاجة، فسكت، فقال لعلك جئت؟ تخطب فاطمة؟ فقلت نعم، فقال وهل عندك من شيء  
تستحلها به؟ فقلت لا والله يا رسول الله، فقال أين درعك الحطمي؟ منسوبة إلى بطن من  
عبد القيس، يقال لهم حطم، حطم بن محارب، كانوا يعملون الدروع، قلت فهو الذي نفسه  
علي بيده، إنها لحطمية ما قيمتها؟ 4 درهم؟ فقلت عندي، فقال قد زوجتكها، فبعث إليها بها،  
وقد كان جهاز بيت فاطمة والإمام علي قطيفة، وقربة ووسادة من جلد حش. أو نبات، قال  
الإمام علي فوالله ما ناديتها يوما يا فاطمة، ولكن كنت أقول يا بنتي رسول الله، وما رأيته  
يوما إلا وذهب الهم الذي كان في قلبي، والله ما أغطبتها قط، ولا أبكيتها قط، ولا أغضبته  
يوما، ولا آذنتي يوما، فوالله ما رأيته يوما إلا وقبلت يدها إلى هنا، نكون قد أنهينا درسنا،  
أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.